

مناقشة

الدكتور محمد الرميحي

لبحث

« الإخوان المسلمون »

للأستاذ محمد فريد عبد الخالق

والتعليقات على البحث والمناقشة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تعليقي ليس على فكر حركة الإخوان المسلمين ككل ، ففيها ما فيها من اجتهادات ، أتفق مع بعضها وأرحب به ، وأختلف مع بعضها الآخر ، وإنما تعليقي سوف ينصب على الورقة الكريمة التي قدمها الأستاذ محمد فريد عبد الخالق ونقاش حول محتوى الورقة وما جاء فيها ، وأيضاً ليس تعليقا على الكاتب الذي تجتمع فيه حسن النية ونبل القصد ، وقد كفاني السيد الكاتب مشقة الاعتذار والتبرير عما سوف أقدمه هنا من تعليق سريع ، على هذه الورقة ، فقد قال : ان الحكم على الشيء فرع من تصوره ، وفساد التصور يعني فساد الأحكام .

وعلى الرغم من أنني توقفت كثيراً حول هذه المقولة ، وتساؤلي : ماذا يعني الكاتب بالتصور ؟ وماذا يعني بالحكم أو الأحكام ؟ فالتصور — كما أتصوره — يعني مجموعة من الأحكام ، إلا أن هذا المعنى العام غير خاف على الجميع ، وهو أننا قد نقع ضحايا تصوراتنا السابقة لقضية ما ، ونصدر الأحكام عليها أو لها قبل الدراسة والتقصي .

ويلوح لي أن الأخ الكاتب قد وقع فيما حذرنا منه ، فقد وقع بداية في الانحياز الشديد ، وبأوضح العبارات وأقواها ، لحركة الإخوان المسلمين ، وقد يكون في ذلك بعض العزاء لو فصل في بداية الأمر فكر الجماعة وتطبيقاتها ونقاش ماهو إيجابي أو سلبي ، خاصة بعد أن مر على إنشاء هذه الجماعة بضعة عقود من السنين ، لقيت فيها من الجماهير الاقبال ، ولقيت من بعض السلطات السياسية المحاربة والتشتيت والسجون ، ولكنه مع الأسف ، لم يفعل ذلك بل قال إن هدفه من البحث ، هو تجلية فكر الجماعة ، وشيء من حركتهم ، راجياً أن يكون وراء ذلك فائدة تعود على العمل الإسلامي ، هذا هو الهدف الذي وضعه للورقة ، ومن هنا ، فأنني سوف أناقش ماكتبه من خلال هذا الهدف الذي وضعه ، وهو فكر الجماعة .

إن التصدي لفكر الجماعة ، وتجلية الفكر لحركة الجيش في مصر الذي هُيَّ للكثيرين من أبناء العرب في الخمسينيات والستينيات ، في هذا القرن ، من خلال ذلك عرفنا ودرسنا حركة

التاريخ السياسي المصري ، وحركة الإخوان المسلمين ليست بالحركة البسيطة والمحدودة ، وليست كذلك بالقضية الفكرية العامة ، وإنما هي حركة لها مناصروها ، كما أن لها أعداءها الفكريين ، والكتابة عنها في معظم الأوقات — عربياً وعالمياً — لاتخلو من التحيز ، إما معها أو ضدها مع اختلاف الدرجات في هذه أو تلك ، ولقد أطل الباحث في الوصف والتعميم ودخل في موضوعات في رأيي معظمها ينصب على الموقف السياسي لحركة الإخوان المسلمين ، خاصة مع الأحزاب السياسية قبل الثورة ، ثورة ١٩٥٢ م . وبعد ذلك في الحديث عن صراع الحركة مع قيادة ثورة ٥٢ في مصر ، وذلك موضوع طويل ، تعددت فيه الأقوال والشهادات ، وكان بودي أن يتابع الكاتب قراءة وتحليل فكر حركة الإخوان المسلمين من خلال مفكرها الرئيسين ، ويبين لنا موقف هذا الفكر من القضايا الجوهرية ، وأسباب الاختلاف في المواقف الفكرية من تلك القضايا ، أو من بعضها . لكنه — فقط — قصر حديثه في اللوحة التاريخية وما بعدها على فكر المرحوم « حسن البنا وحياته » ، ولو أتيح للكاتب فرصة لتصور منهج متكامل لقال لنا شيئاً عن أساتذة « البنا » وخاصة « رشيد رضا » وحدثنا عن بذور الفكر الإسلامي الحديث لدى الأفغاني ومحمد عبده ، وكذلك عمّن عاصر « حسن البنا » ومن جاء بعده .

لقد دخل الكاتب في تفاصيل سياسية كثيرة ، وأصاب في عرض وجهة نظر الحركة في كثير منها ، وكاد أن يقع — في بعض الأوقات — في ادانة الحركة وهو في صدد الدفاع عنها . وأضرب مثلاً واحداً على هذا ، وهو قوله : (إن الإخوان المسلمين ، قد وافقوا على القيام بحركة الجيش — كما سماها — سنة ١٩٥٢ م . برغم معرفتهم بأن لعبد الناصر علاقة بالأمريكان) بالطبع جاء ذلك في إطار إدانة عبد الناصر ، وشبهة علاقته بالأمريكان ، ولكن أليس ذلك أيضاً — إدانة — لمن يتعاون معه خاصة قبل الثورة ؟ وهذا إذا صح ماذهب إليه الكاتب في مجمل القصة ، ولو ذكر لنا المصدر ومن أين أتى بهذا الموضوع ؟ لأضاف إضافة جديدة في تاريخ العرب السياسي المعاصر .

في حقيقة الأمر هناك قضايا كثيرة تستحق الوقوف أمامها ، في هذه الورقة المباركة . ولكنني سأختار بعضاً منها ، اختصاراً للوقت ، واحتراماً لفكر من يريد أن يقرأ الورقة قراءة ذكية . هذه النقاط هي :

١ — عند الحديث عن تاريخ الإخوان المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية ، حاول الباحث أن يبرر تحالف الإخوان مع وزارة « اسماعيل صدقي » الثانية سنة ١٩٤٦ م ، وهذا قول — في حقيقة الأمر — يأتي مضاداً لكثير من أقوال المؤرخين المستقلين ، لأن اسماعيل صدقي (من يعرف مصر أو من قرأ حولها) كان معروفاً، منذ وزارته الأولى في أوائل الثلاثينيات ، بأنه كان دكتاتوراً جليداً ومن أكبر أنصار الانجليز ، ولكن الكاتب يقفز على ذلك ويقول ما معناه : إنه تاب على أيدي الإخوان . وحقيقة الأمر أنه كان معروفاً لدى الجميع بعدائه

للشعب ، ولم يقبل التحالف معه وتأييده في ذلك الوقت إلا الاخوان المسلمون . يقول الكاتب بالنص حول هذا الموضوع : « أعتذر صدقي عن ماضيه السياسي » وأنا أعتقد أننا حين نريد أن نناقش ونقنع الآخرين ، يجب أن نقول لهم ، كلاماً — مع أنه في السياسة — معقولاً ومنطقياً .

٢ — عند مناقشة الكاتب للقضية الفلسطينية نلاحظ استخدامه الدائم للفظ اليهود . ومع اعترافي بأن هذا اللفظ ، ربما يكون مصادفة ، تفضيلاً لفظياً ، لكنني أعتقد بأن استخدامه لفظ « الصهيونية » قد يكون أفضل ، لأنه ربما يعطينا البعد الحقيقي لمعركتنا مع هؤلاء الناس — ومعركتنا معهم — ليست فقط دينية ولكنها سياسية واستراتيجية واقتصادية وأيديولوجية .

٣ — وعند مناقشته لحوادث القتل والانتقام ، والتي وقعت عام ٤٨ ، ٤٩ في مصر ، يذكر منها ما كان الاخوان ضحية له ، وهذا حق ، ولكنه يغفل الحوادث التي ارتكبتها الاخوان ، أو ينكر صلة الاخوان بها في وقت ما ، ويلمح بصلتهم بها في مكان آخر من الورقة . ان مرتكبي الحوادث قال التاريخ رأيه فيهم ، فيمن قتل أحمد ماهر ، والنقراشي . وأنا أفهمها بصفتي سياسياً ومؤرخاً ، ولكنني لأفهم الدفاع عنها أو تجاهلها بالمرة .

٤ — القضية الكبرى في حقيقة الأمر ، هي علاقة الاخوان المسلمين بالحكم في ذلك الوقت ، وأنا أيضاً أفهم تلك العلاقة لا كما يقول أعداء الاخوان المسلمين ، ولكنها علاقة سياسية مقبولة ، ويذكر أعداء الأخوان المسلمين دائماً مقابلة « حسن الهضيبي » للملك فاروق ، عندما قال (بأنها دعوة كريمة من ملك كريم) . هكذا يقول أعداء الاخوان المسلمين للتدليل على علاقتهم ... وقد يكون هذا الكلام — حقيقةً — وقد يكون هذا الاتصال اتصالاً سياسياً ، أفهم ذلك تماماً . وكان بودي أن يعرض الكاتب لهذا الموضوع ويذكر لنا بعده السياسي .

٥ — وهناك بعض الموضوعات التي ربما لم تكن لدى الكاتب أو تحت يده — في وقت كتابته للورقة — بعض المصادر للرجوع إليها ، أذكر منها فقط للتدليل بأنه قال (ان انتخابات الضباط التي فاز بها « محمد نجيب » كانت في ديسمبر ١٩٥٢م ، وهي كما يعلم الجميع في مارس ١٩٥٢م ، في اختلاف الاخوان مع الثورة الذي كان مبكراً : يعرف الجميع بأنه كان اختلافاً ذا شقين :

الشق الأول : اختلاف حول تطبيق الشريعة ، والشق الثاني : هو اختلاف حول تطبيق الإصلاح الزراعي الذي قال الاخوان فيه رأيهم وأن الملكية يجب أن تحدد بـ (٥٠٠) فدان ، وقالت الثورة رأيها وكان أقل من ذلك .

في حقيقة الأمر ، كنت أودّ أن أقرأ في الورقة الكلام بالتفصيل عن علاقة الإخوان مع الثورة بعد سنة ٥٤ ، و ٦٥ . فلم يذكر الكاتب هذه العلاقة وأثرها في تطبيق الشريعة في السودان ، ولن يكون هذا المقام مقام التفصيل حول هذا الموضوع ، ولكنني أعتقد بأن هناك الكثير مما يراد من خلال تطبيق الشريعة في السودان في هذا الوقت .

في النهاية أذكر أن من الموضوعات الخطيرة التي مر عليها الكاتب مرور الكرام ، قضية مثل قضية الديمقراطية ، ونحن نفهم جميعاً أن هذه الفكرة قد تطورت لدى بعض الكتاب الإسلاميين إلى درجة القبول بالمشاركة السياسية ، وأصبحت هذه المشاركة في رأي بعضهم ملزمة ، وليست معلمة ، كما قال الدعاة الأوائل .

وبرغم أنه ألمح في بعض ماكتب إلى أن المرحوم « الهضيبي » قد طالب حركة الجيش سنة ١٩٥٤م كما سماها بتطبيق « الديمقراطية » في مصر ، إلا أن هذه القضية التي لا زالت قيد الاختلاف ، لم تحدد بوضوح في البحث . وقضية الديمقراطية في اعتقادي قضية مهمة ومركزة ، ومن القضايا التي مر عليها الكاتب سريعاً ، قضية قبول الأحزاب ، وقضية الانتخابات العامة .. الخ ، وكله لا بد أن نعرف أو نتعرف على فكر الإخوان المسلمين بمجمله فيها .

نحن نعرف — مثلاً — أن موضوع الديمقراطية لدى المرحوم « حسن البنا » كما كتبه (أن الديمقراطية معلمة وليست ملزمة) ، كما أنه كتب في موضوع الأحزاب مرة بأنه يرفض الأحزاب ، ومرة يقول : أننا لانضطر — كما يقول « حسن البنا » إلى الأحزاب ، ولكن لانعترض عليها .

في ضوء الواقع السياسي المصري في ذلك الوقت ، ربما كان هذا الكلام صحيحاً ، ولكنه ليس حكماً مطلقاً على الديمقراطية أو على الأحداث . بدليل أن الكاتب نفسه يقول (ليس في قواعد النظام النيابي ، ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام ، لنظام الحكم ، فهو بهذا الاعتبار ، يعني أن هذا النظام النيابي (كما يقول الكاتب) ليس بعيداً عن الإسلام ولا غريباً عنه .

وأنا بصفتي مؤمناً بالديمقراطية وداعياً لها ، أرحب بهذا القول ، وأتمنى أن تتطور البحوث الفكرية لحركة الإخوان المسلمين ، أو لغيرهم من الإسلاميين وأن تتحدث عن هذه الاتجاهات ، ولكنني أقول أيضاً : إن القبول بالديمقراطية ، يعني القبول بالرأي الآخر ، ويعني أن هناك انتخابات حرة ، يصل إلى النظام النيابي من يصل خلال انتخابات حرة ، وقد تكون هناك مجموعة من الإسلاميين وقد يكون هناك آخرون أيضاً ، فإذا كيف يتم الحوار بين هذه الجماعات ؟ أنا أعتقد بأن المشاركة الشعبية — كمدخل أساسي للتطور العربي والإسلامي — لا بد أن تطرح في الفكر الإسلامي . وفي الفكر العربي ، ولو قال لنا الأخ الكاتب ، ما النظام البرلماني الذي يتصوره ، من خلال الفكر الإسلامي ، لأثرى كثيراً روح المناقشة .

في نهاية هذا التعليق السريع أذكر لكم نصاً ليس من عندي : (منذ ربع قرن والحركة الإسلامية الحديثة تعيش محناً ضارية ، تقدم فيها الشهيد تلو الشهيد ، وتبذل الثمن غالباً من وجودها وحياتها دون أن يكون لها من ذلك أدنى مردود ، بل أنكى من ذلك أنها هي التي تزرع وسواها يحصد . وأنها هي التي تبني وسواها الذي يستولي على البناء .

الحركة الإسلامية على الرغم من كل هذا ، لا يزال أسلوبها في العمل نفس الأسلوب الذي مارسته في ظل أوضاع غدت في خيبر كان ، بل وغدت ممارساتها لها اليوم في أعقاب التحول الجذري الذي شهدته المنطقة ضرباً من الانتحار ، وجريمة لا يجوز السكوت عنها). هذا الكلام ليس من عندي ، ولكنه كلام الأستاذ فتحي يكن ، في كتابه مشكلات الدعوة والداعية ، الذي صدر في بيروت سنة ١٩٨٠م ، ألا يحق لنا — بعد هذا كله — أن نفكر ملياً في أزمة دعوة الإخوان المسلمين ؟

تعليق الأستاذ يوسف العظم ، على بحث « الإخوان المسلمون » :

أريد أن أقدم وثيقة للأخ المعلق . في الصفحة رقم (٩٥) من مذكرات أنور السادات في كتابه (يا ولدي هذا عمك جمال) طبع الدار القومية للطباعة والنشر ، بتاريخ ١١ / ٨ / ١٩٦٥م رقم الكتاب ٣١٢ في الدار القومية .

والكتاب ظل يتداول في مصر لمدة (٥) سنوات في عهد الرئيس عبد الناصر . ثم جمع بعد أن تولى أو استولى على السلطة بعده أنور السادات . أنقل بالحرف الواحد ماورد في الكتاب ، وما رضيت عنه مؤسسة الحكم يومئذ في مصر يقول أنور السادات لولده (وهكذا بدا لنا أن أمريكا تفهم الأوضاع على حقيقتها ، بعقلية غير تلك العقلية الاستعمارية ، وبدا لنا أيضاً أن لأمريكا سياسة أمريكية على خلاف ما كنا نعرف ، من أنها تسير في ذيل السياسة البريطانية الاستعمارية ، وخاصة في هذه المنطقة من العالم الذي كان يدعي الساسة البريطانيون الاستعماريون أنهم خبراءها الوحيدون ، ولعل هذا يلقي لك ضوءاً يابني على ما قلته لك سابقاً من أن تصرف الثورة حيال أمريكا كان مناقضاً من أول يوم لتصرفها حيال بريطانيا وأن صداقة حقيقية انعقدت بيننا وبين السفير الأمريكي المستر « كافري » ، كان اسمه « جيفرسون كافري » وأن الرجل كان مخلصاً حقاً ، فمن أول يوم لبينا دعوة المستر « كافري » الذي دعانا فيها إلى العشاء وذهبنا جميعاً إلى منزله قبل أن يعلم الناس في مصر والعالم ، من رجال ثورة مصر ؟ وفي الوقت الذي قاطعنا فيه السفارة البريطانية تمام المقاطعة حتى أن المستشار الشرقي بها كان يبحث ويحاول أن يصل إلى معرفة أشخاصنا ، ثم بدأ بعد ذلك يتصل ببعض أصدقائنا من الصحفيين لكي يدلوه على طريقة يتصل بها بنا ، وأن يكون واسطة لاجتماعه بأحدنا . كان هذا في الوقت الذي كان السفير الأمريكي فيه دائم الاتصال بنا ، وفي كل مرة كان يظهر تفهماً وإدراكاً لحقيقة أهدافنا ، مما جعلنا نحس أن أمريكا عازمة حقاً على التمسك ، بما تعلن عنه من أنها ضد الاستعمار ، وأنها

مع مبدأ تحقيق المصير للشعوب الصغيرة التي ابتليت بالسيطرة الأجنبية) . تلك هي الوثيقة ومصدرها .

النقطة الثانية ، نحن كنا نلتقي صغاراً في ساحة دار الاخوان في القاهرة ، شباباً بين مصل وغير مصل ، بين متدين وعادي ، لكننا أخذنا بشيء جديد فهمناه ، هو أن الإسلام دين ودولة ، عبادة ، وقيادة ، مصحف وسيف ، عقيدة ونظام وعمل ، ثم بدأنا نفهم هذا أكبر عندما تقدمت بنا الأيام وكبرنا ، وإذا بنا نفهم لأول مرة في تاريخ وجودنا على الساحة الإسلامية مفهومه الشمولي في الفكر الإسلامي ومفهوم التكامل في التربية الإسلامية ، التربية الروحية ، الثقيف الفكري ، التوعية السياسية ، الاعداد الجسدي ، مما يؤدي إلى إيجاد الفرد المسلم الصالح والمجتمع الصالح . وفهمنا على يد الإمام الشهيد وتلامذته أن الدولة الإسلامية هدف هذه الحركة ، لا بد أن تقوم دولة تحكم بالإسلام .

والغريب أن الإخوان يهاجمون من فريقين :

- ١ — فريق يقول إن الإخوان لا يعنون إلا بالتربية والأخلاق ، ولا يعرفون شيئاً عن السياسة .
- ٢ — وسلطات مختلفة تقول ، الإخوان لا يفعلون شيئاً إلا أنهم يتدخلون ويعملون في السياسة .

وشيء آخر ، بعثت به الثقة في الإسلام في هذا المجتمع وبعثت به الثقة في نفوس المؤمنين هو أنه : لا يمكن أن نعود لنكون ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ ، إلا بالإسلام وحده .

ولقد كانت خطة « حسن البنا » — عليه رحمة الله — ومن جاء بعده من قادة الحركة وتلامذتها ، أن تسري الفكرة والعقيدة في أركان المجتمع ونفوس أبنائه ، كما يسري الرواء في عروق الشجر ، في صمت وهدوء ، وعمق وعطاء ، ثم يطلبون حكماً للإسلام ، لا لأنفسهم ، فأى حركة إسلامية تحكم ، فالأخوان المسلمون جنود عند هذه الحركة ، ثم أقاموا المؤسسات لا لكي يتاجروا ويكسبوا من ورائها مالياً ، وانما ليدرّبوا كوادراً من أبنائهم ، ليكونوا قياديين قادرين على العطاء وعلى قيادة المجتمع عندما يتسلمون أمره .

تعليق الدكتور محمد سليم العوا :

أول مسألة أثيرها ، هي قرار الرئاسة أن تنصب المناقشات على البحث دون غيره ، ففي مثل هذه الندوات الفكرية والعلمية يجب أن تدور المناقشات بحرية كاملة دون قيد أياً ما كان على المناقشين .

الثانية : لقد استمعت إلى حديث الأستاذ محمد فريد عبد الخالق ، لكنني كنت أتمنى أن أسمع حديثاً عن الحركة لا عن صاحبها — رحمه الله — وكنت أتمنى أن أسمع تفصيلاً بقدر

ما يسمح به الوقت عن فكر هذه الحركة ، والذي اختلف فيه الناس اختلافاً عظيماً كما قال الأستاذ يوسف العظم بين منكر للشيء ومثبت له ، وكلاهما على طرفي نقيض .

و كنت أتمنى أكثر حديثاً عن مطالب الإخوان المسلمين .. ما الذي يريده الإخوان المسلمون من الناس الذين ليسوا إخواناً مسلمين ؟ وما الذي يريدونه من المجتمع الذي يضم مسلمين وغير مسلمين ؟ وما الذي يريدونه من الحكام ، الذين يناصبون الإخوان الأعداء ؟ والحكام الذين يمسحون لهم الرداء ؟ والحكام الذين يعادونهم يوماً ويعلمون حبهم وودهم يوماً آخر ؟ ما الذي يريده الإخوان المسلمون من العالم من حولهم مسلمه وكافره ؟ كنت أتمنى أيضاً أن أسمع من الأستاذ فريد ، وهو أخبر الناس بذلك ، حديثاً عن النجاح ومداه : أين نجحت هذه الجماعة في الأرض ؟ لا في إنشاء دولة — لأنها لم تنشئ دولة حتى الآن والله الحمد — وإنما فيما اصطنعته لنفسها من وسائل وأرادته لهذه الوسائل من نتائج ؟ وكنت أتمنى أن أسمع من الأستاذ فريد أين وقع الاخفاق في جهد هذه الجماعة ؟ وأين حدث التوزع والتفرق والفشل ؟ ولماذا كان ذلك ؟ ما أسبابه ؟ وكيف يمكن توقيه فيما يتصل بالحركات الإسلامية القادمة التي يزخر بها بطن العالم الإسلامي ؟ ولا نعرف أيها تأخذ الراية من الإخوان المسلمين قبل غيرها ؟ أيها تنجح وأيها تفشل ؟ هذه الأسئلة — التي كنت آمل أن يكون الأستاذ محمد فريد عبد الخالق ، قد كتبها أو ذكرها في مناقشته — هي التي يحتاج الناس من المتعلمين أمثالي إلى جواب عنها . أما التاريخ فقد أصبح متاحاً ومتاحاً لأكثر الناس إذا بحثوا ودققوا ، وأما الحكم على الماضي ، فهو على أهميته وضرورته ، لا يغنينا عن العمل للحاضر والمستقبل .

أما الأخ الدكتور محمد الرميحي ، فلي معه نقطتان :

النقطة الأولى ، أن الحكم على الشيء ، نعم ، هو فرع عن تصويره وهو مختلف عن تصويره ، لأن التصور قيام صورة الشيء في ذهنك ، وهو معرفة بوقائع وحقائق وذلك لا يتضمن حكماً على وجه من الوجوه . وهذه مسألة يعرفها أهل المنطق . والدكتور جعفر شيخ ادريس ، سيحدثنا ان شاء الله عن ذلك .

المسألة الثانية ، أنا لا أعرف في كتابات « حسن البنا ، ولا أزعم أنني محيط بكل شيء ، أقول : إنني لا أعرف في كتابات حسن البنا — رحمه الله — مكاناً قال فيه : « الديمقراطية معلمة » بل إن هذه العبارة لا مكان لها في الفقه السياسي ، لأن الديمقراطية لا يمكن أن تكون معلمة ولا ملزمة ، الديمقراطية نظام حكم ، اذا ارتضاه الناس طبقه ، وإذا لم يرتضه الآخرون لا يطبقونه ، ليس هناك اعلام ولا إلزام ، هذا خلط بين كلمة « ديمقراطية » وهي كلمة غربية نعرف كلنا أصلها ، وبين كلمة « الشورى » و « حسن البنا » وغيره من الدعاة . لا يقولون « الشورى » معلمة على وجه الإطلاق أو ملزمة على وجه الإطلاق ، هذا خلاف كبير ليس هذا مجاله على

كل حال ، لكن أرجو أن ينتبه اخواني إلى أن قضية الديمقراطية معلمة ، قضية لامحل لايرادها في البحث السياسي لأنها لامعنى لها .

والخلاصة فيما يتعلق بالبحث الخاص بالإخوان المسلمين ، إنني لا أظن أن الحديث عن الإخوان المسلمين سينتهي بهذه الندوة أو ينتهي في قرن أو قرنين من الزمان ، لذلك أسمح لنفسي أن أعود إلى حديث الأخ الدكتور الرميحي ، عندما عقب على كلام الأستاذ فريد عبد الخالق وقال (إن القبول بالديمقراطية . قبول الإخوان بالديمقراطية) يعني القبول بالرأي الآخر . وكأنه يضع علامة استفهام بصمته ، كما يفعله في مقالاته في العربي ، تتضمن السؤال : هل المسلمون يقبلون بوجود الرأي الآخر في الدولة التي يحكمها الإسلام ؟

الحقيقة أن الرأي الآخر ، كلمة كبيرة واسعة ، وتحتل تفسيرات كثيرة ، والذي يعنيني — في زمننا الذي نعيشه ، وفي حركة المسلمين نحو النهضة والتقدم — هو أن المسلمين اليوم لا يمكنهم الا أن يقبلوا بالرأي الآخر ، بل إن قصارى أملهم : أن يسمح لهم بالكلام ، وبالتعبير عن أنفسهم باعتبارهم هم أنفسهم رأياً آخر ، لأنهم ليسوا هم الرأي السائد ، إنهم الرأي السائد فيما بينهم وبين أنفسهم فقط .

فالمسلمون اليوم فيما أظن يقبلون ، أو يجب أن يقبلوا (الديمقراطية) وسيلة لحكم الشعوب العربية الإسلامية ، ولست أقول إنها مرحلية ، ولست مفكراً من مفكري الإسلام حتى أحكم على هذا . وإنما اعتقادي باعتباري مسلماً ولقد اتفقت في هذا الرأي مع الدكتور الأنصاري ، على أن الديمقراطية هي السبيل الوحيد الذي يمكننا من أن نقول قولنا ونُسمع كلمتنا .

وأمر آخر يتعلق بتفصيل ما أنجزه الإخوان المسلمون ، ولا أريد أن أدخل في جدل ، وإنما أريد أن أسأل سؤالاً محدداً ، هل هذه الأشياء التي ذكرت هي وحدها ما قام الإخوان المسلمون من أجل تحقيقه ؟ هل إذا حققت التكامل والشمول وحرية الرأي ، والنماذج الصابرة الحية في المعتزك السياسي والجهادي ، في إطار إسلامي عالمي ، وأنجبت مفكرين في المجالات كلها وأثرت في مفكرين لا ينتمون إليها ، ينتهي بذلك سبب وجودها ؟ فان كان هذا هو ما تقوله ، فعليها أن تخلي الساحة لجماعات أخرى تحمل راية الإسلام بعدها ، لأنها لازالت قائمة تناضل وتحارب وتكافح وتكتب وتقول إنها تحمل راية تطبيق الإسلام : لكن كيف ؟ وبأي أسلوب ؟ وفي أي إطار ؟ هذا ما لم نسمعه من مفكريها حتى الآن . فخلال العشرين سنة الأخيرة ، وهم مدعوون إلى الإجابة ، ولا يستطيعون أن يتصلوا بأنهم لا يقولونه لأنهم محاربون ، ولأنهم ممنوعون من الكلام ، ذلك لأن تاريخهم كله يقول : إنهم يوم حاربوا في مكان يسمح لهم في مكان آخر بالحرية ، وهذا هو أحد أسرار استمرار هذه الجماعة ، وإلا فان التاريخ قد أذاب جماعات كثيرة بالضغط المتوالي في كل مكان ، وكان من حسن حظ هذه الجماعة أنها وجدت دائماً متنفساً في مكان ما ، تقول فيه كلمتها .

وأنهم الآن يتكلمون كثيراً عن التاريخ ولا يتكلمون أبداً عن المستقبل ، ولو كنت من المدافعين عن الجماعات والأشخاص ، لقلت إن حسبهم من عملهم أنهم يدعون أمثالي إلى سؤالهم ، ماذا يريدون ؟ وأنهم لازلوا يشعرون الناس بوجودهم ، ولكن عليهم أن يطوروا هذه الخطوة ، ويتقدموا بها إلى الأمام فيحددوا مطالبهم ، ويعلنوها للناس كافة ، لالتشكيلاتهم وأبنائهم وشبابهم ، لأنهم يخاطبون الأمة ، ولا يخاطبون المتممين إليهم فقط .

تعليق الدكتور عبد الحليم عويس — على بحث « الإخوان المسلمون » :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وبعد ، فقد كنت أتمنى من الأستاذ محمد فريد عبد الخالق أن يقدم لنا إطاراً منهجياً متكاملًا للحركة الإسلامية التي نسميها — أو سمت نفسها — بحركة الإخوان المسلمين . ولكنه من واقع انتمائه إليها ، ركز على تجربته الشخصية — ربما — أكثر من تركيزه على الحركة ، والحمد لله أنه كاد يظلم الحركة لولا أنه استطاع في اللحظات الأخيرة أن ينصفها بعض الإنصاف ، وأتمنى أن يكون البحث الذي لم أقرأه بعد ليس كافياً لاعطاء هذه الحركة ايجابياتها وسلبياتها ، بالصورة الصحيحة . وأحب أن أذكر أن حركة الإخوان المسلمين ليست إلا حركة بشرية واجتهاداً بشرياً ، ولا يزعم زاعم إطلاقاً — حتى ولا « حسن البنا » — رحمه الله — انها براء من كل الأخطاء . ولعل العمق الزمني الذي مر بعدها أعطانا — نحن الذين رأينا الخير الكثير في هذه الحركة — أبعاداً أخرى تقويمية ، لعلها تفيد جيلنا عندما يكتب عنها : هذا ما آخذه على أخي الكبير الاستاذ فريد عبد الخالق .

أما الدكتور محمد الريمحي ، فكانت لي عليه ثلاثة مآخذ :

المأخذ الأول ، كفاني إياه الدكتور محمد العوا ، فمصطلح الديمقراطية فلسفة متكاملة لها جذورها وانتماءاتها وكلياتها ، والإسلام لا يقبل هذه الاسقاطات ، لا تركيبة « اشتراكية اجتماعية » ولا تركيبة « ديمقراطية ليبرالية فردية » ، الإسلام منظومة متكاملة من المبادئ ، لكل مبدأ كثافة معينة وله حجم معين وله نسبة معينة في بناء الإسلام الكلي ، ولا يجوز إطلاقاً أن نسقط على الإسلام لا مفاهيم شرقية ولا مفاهيم غربية ، فجزى الله الدكتور العوا ، خير الجزاء .

القضية الأخرى — قضية عامة — في قضية علاج أخي الدكتور محمد الريمحي لمواقف الاخوان المسلمين العملية ، ودعونا نجرب أن نضع أنفسنا مكان بعض الذين قادوا حركة الإخوان المسلمين أو الذين عبروا عنها ، فهؤلاء بشر ، وهؤلاء دعاة ، وعندما يجدون « اسماعيل صدقي » يظهر شيئاً من الخير فإنهم يحاولون تعميق هذا الخير والتفاهم معه . وعندما يأتي السادات ويطلق المعتقلين ، ويقول لنفتح صفحة جديدة ، فكيف نتعامل معه ؟ ان الاسلام علمنا أن من خدعنا

بالله ، انخدعنا له في وعي وفي حصافة ، نحن لم نكلف بالكشف عن القلوب وحركة الاخوان المسلمين ، على مستوى « اسماعيل صدقي » أو مع السادات أو مع « الوفد » أو عندما قال الهضيبي كلمته المعروفة (دعوة كريمة من ملك كريم) فهي دعوة تحاول التأليف ، تحاول التركيز على أي نسبة خير موجودة في أي انسان ، حتى ولو كنا سابقاً قد عرفنا أن هذا الإنسان ربما يكون معدوم الخير ، ولكن نحاول فربما تحركت بذرة الخير فيه .

الإخوان المسلمون وقد عاشوا ميادين ، عاشوا معارك ، ما كان يمكن أن يرفضوا كل الناس وكل الحكام ، وهم ليسوا ثورة .

وهناك فرق كبير بين مفهوم ثورة ومفهوم دعوة وحركة إنسانية . الحركة الإسلامية ملزمة بأن تفتح صدرها لكل من يقول أنا أريد الخير ، أنا أريد العمل ، حتى وإن كانت تدرك أن هذا الإنسان قد يكون غير صادق القلب ، الرسول ﷺ معروفة قصته — عندما قتل أحد الصحابة أحد المشركين ، وهو يقول (لا إله إلا الله) عندما رفع السيف عليه : قال له الرسول — ﷺ ، هل كشفت عن قلبه ؟ بهذا المنظور البشري — فقط — أريد أن توضع تصرفات بعض أعضاء حركة الإخوان المسلمين ، على محك أنهم بشر ، وأنها دعوة ، وليس من حقها باسم المنهج الإسلامي أن ترفض كل من يبدو لديه أي مستوى أو بذرة خير ... هذه نقطة علاجية في موضوع الإخوان المسلمين أو في علاج أي حركة إسلامية أخرى .

وتاريخنا الإسلامي كله ليس تاريخ ملائكة ، إنه تاريخ بشر .

الشيء الأخير الذي اختلفت فيه مع الدكتور الريمحي ، كلمة (اليهودية والصهيونية) فإسرائيل منذ ولدت وحتى اليوم تعتمد على حركة دينية ، وإسرائيل كيان « أيديولوجي » كامل ، لم تأت اطلاقاً لبواعث اقتصادية أو بواعث أرضية ، أبداً . فاليهود كانوا أغنى ناس في العالم ، ولكنهم يضعون في كل دبابنة نسخة من التوراة ، (الحاخامات) المرور يتوقف لها في الشوارع ، كلمات بن جوريون ، كلمات جولدا مائير هي : إننا لم نسد شيئاً للتوراة ، وإنما التوراة هي التي أسدت لنا الكثير ، وترسمهم للتوراة في كل شيء .

أما التعلل بالعوامل الاقتصادية فإن ذلك يمكن أن يقال عن كل شيء ، وحتى عن الفتح الإسلامي قال ذلك بعضهم ، ولكنني أعتقد أننا لم نهزم الآن إلا بدولة دينية ، دولة عقائدية ، دولة أيديولوجية ، حتى ولو كانت على الباطل ، ولكنها ليست دولة سياسية ولا اقتصادية .

تعليق الدكتور محمد فتحي عثمان :

إن حديثي مجرد اشارات سريعة :

١ — أعتقد أن النص ، (دعوة كريمة من ملك كريم) هو (لقاء كريم أو مقابلة كريمة من

ملك كريم) ولم تذكر دعوة ، ولعل اللقاء أو المقابلة كانت مثمرة أو مفيدة أو جرت فيها مناقشات مفيدة .

٢ — فيما يتعلق بقضية الديمقراطية والانتخاب . أعتقد : أنه في حياة « حسن البنا » كلها ، لم تثر قضية : أهل الشورى — بصرف النظر عن اصطلاح ديمقراطية ملزمة أو معلمة ، وأنه كان دائماً يميل إلى الأخذ بالزامية الشورى ، تطبيقاً وفكراً وفي كل شيء .

وفي حياته المبكرة وفي مؤتمراته الأولى ، كان يقول (نحن نريد أن نصلح القانون ، أما الدستور والمبادئ الدستورية الأساسية ، فنحن نؤيدها ، لأنها تقرب حقوق الشعب) ، وقد تقدم هو بنفسه للانتخابات أكثر من مرة ، كما أن بناء الهيكل التنظيمي انتقل من التعيين إلى الانتخاب خطوة خطوة ، فكانت الهيئة التأسيسية معينة ، ثم انتهت إلى أن تكون منتخبة من جمهور الأعضاء العاملين في البلاد كلها .

وقضية الشورى كونها ملزمة أو معلمة انما ثارت بعد وفاة « حسن البنا » حيث بدأ نقل رسائل الاستاذ المودودي إلى العربية فأثيرت هذه القضية وبدأت الاجتهادات فيها ، ولكن الفكر الرسمي للجماعة ، ممثلاً في مرشدها الأول ومرشدها الثاني ، ما وردت فيه كلمة واحدة تقول ان الشورى معلمة .

٣ — فيما يتعلق بموضوع ، العنف ، الحقيقة ، كما قال الدكتور عويس الوقت كان مشحوناً بظروف القضية الفلسطينية ، وظروف احتلال الانجليز لمصر ، وفي خلال هذا الاستعداد ، لمواجهة الصهيونيين في فلسطين ، أو مواجهة الانجليز في مصر ، وعندما تحققت مواقف معينة لبعض الحكام المصريين بدأ اتجاه استخدام القوة مع الحكام المحليين ، ولكن لم يثر — في أول الأمر قط ، وقت اشتعال القضية الفلسطينية — أي تفكير لا فكري ولا حركي ، في جواز استخدام القوة داخلياً ، بل — كما أشار الأستاذ فريد — ان تحطيم الحانات — والتي كانت أولاً حانات ، وثانياً فيها تجمعات للجمهور والانجليز أثناء الحرب ، ظهر من حركة مصر الفتاة . « وحسن البنا » كان يعتقد أن هذا التصرف خطأ ، سواء ضد الحانات أم لمقاومة الانجليز .

٤ — بالنسبة للاجتهادات السياسية والموقف من « اسماعيل صدقي » ومن حركة الجيش ، فنحن لاندعي العصمة ، وكل هذه أمور تكتيكية وتقديرية تحدث فيها وجهات نظر ، وربما غيرت الجماعة وأفرادها نظرتها بعد ذلك ، وقد رأوا أن مافعلوه بحسن نية كان خطأ .

وبهذه المناسبة ، أدعو كل من يكتب عن هذه الجماعة بمن فيهم أنباؤها أن يعتبروها كياناً حياً نامياً متطوراً تحصل فيه اجتهادات وتحصل فيه مراجعات ويحصل فيه الخطأ

والصواب ، وليس كل شيء حدث داخل هذا الكيان صحيحاً مائة في المائة ، فهم بشر
يجتهدون ، وخصوصاً في تقدير التكتيكات السياسية .

مناقشة الدكتور عثمان سيد أحمد :

هناك نقطتان :

الأولى : أني لم أقرأ الورقة المقدمة ، وآمل أن أجد وقتاً لقراءة الورقة .

والثانية : ماورد في التعليق على الورقة ، خصوصاً في النقطة الأخيرة التي تحدث فيها
المعلق عن تطبيق الشريعة في السودان ، وسؤالي هو : مهما يكن من توقعنا لتطبيق الشريعة :
ألا يكون تطبيق الشريعة في نفسه البداية لما نريده منها من نتائج ؟ هذا هو السؤال ، وشكراً .

تعليق الدكتور وهبة الزحيلي :

١ — نعلم جميعاً أن الديمقراطية نظام غربي بدأ كرد فعل للنظم الاستبدادية والديكتاتورية ، ومثل
هذا النظام الذي يعني حكم الشعب بالشعب ، أو النظام البرلماني أو النيابي أو البرلماني
الرئاسي أو ما شاكل ذلك من ترقيعات تخفف من حدة الاستبداد والديكتاتورية ، هذه
الأنظمة كلها لا يقرها الإسلام ولا يصح أن يقال إن الإسلام نظام دكتاتوري أو ديمقراطي
أو نيابي أو برلماني ، فالإسلام له نظامه الخاص وله ضوابطه وقبوده ومعالمه وأوضاعه ،
كل ما في الأمر أن بعض مزايا الديمقراطية من الاعتماد على الشورى — أحياناً ، قالوا
إنها تتفق مع بعض مبادئ الإسلام .

ولكن هذا لا يعني أن الإسلام نظام ديمقراطي بالمعنى الذي يراد ، لأن الإسلام أولاً
نظام مقيد بدستور قرآني ونبوي ، عرّفنا إياه تطبيق الخلفاء الراشدين وسار عليه المسلمون ،
لذلك ينبغي ألا نخلط بين هذه المصطلحات التي تعيشها أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية
والعربية وبين الإسلام . ونزج به ضمن هذه الأنظمة ، ونريد أن نرفع به أخطاء ونريد
أن يرضى الحكام مشاعر المسلمين فيقولون إن هذا نظام إسلامي .

ولكن كل هذه الأنظمة في الحقيقة مغايرة للإسلام ، فالإسلام قانون ونظام محدد
بالقرآن والسنة ، وأن الشورى من أسس أنظمة الإسلام الأساسية ولها ضوابطها وقبودها ،
أم أنها لاتعدو أن تكون التعرف على آراء المتخصصين من علماء الشرع وعلماء الاقتصاد
والحرب والدنيا والسياسة وغير ذلك ؟

٢ — إن النظام الديمقراطي الذي يعتمد على تمثيل كل فئات الشعب — في الحقيقة — لا يتفق
مع الإسلام لأن منهج الإسلام ينيط قضية الاجتهاد بما سمي بأهل الحل والعقد ، فهم

المتخصصون المؤتمنون وهم الذين أوجب الشرع والقرآن طاعتهم ﴿يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(١) وأولو الأمر في نطاق الاجتهاد ، هم العلماء ، بل إن ابن القيم جعل طاعة العلماء مقدمة على طاعة الرؤساء وطاعة الوالدين .

٣ — الديمقراطية بما شهدناه من عيوبها من صراع في المصالح والأحزاب ، وشراء الأصوات . وكل هذه القضايا التي صاحبها ، نعلم أن الإسلام أرفع من هذه الأمور كلها ، فهو نظام محدد له مبادئه وقيمه التي يجب أن تسود الحياة الاجتماعية والسياسية ، فهو مجتمع القيم ، وهو نظام يقوم على بناء المجتمع الفاضل ، وليس على مثل هذه القضايا النفعية والتي يأنف الإسلام منها .

لقد كره الناس بعض هذه الأنظمة الديمقراطية ، لأنها تقوم على رعاية مصالح الأحزاب ، والأحزاب حقيقة لا تخدم إلا نفسها ومبادئها ، هذه مبادئ وضعية والإسلام دين سماوي رباني .

الكلمة الأخيرة حول ماردده الأخوة الكرام من كلمة الهضيبي — يرحمه الله — (لقاء كريم مع ملك كريم) هذه الكلمة لم تثبت ، ورددها بعض الصحف ، وما أكثر الأكاذيب في الصحف العربية ! ولذلك أرجو أن تحذف هذه الكلمة لأنها لم تثبت عن الهضيبي إطلاقاً .

مناقشة د . حافظ الجمالي :

من العبث أن يفكر المسلم بعيداً عن الدين الإسلامي ، لأن الدين الإسلامي عند كل مسلم هو شيء من ذاته ، من وجوده ، من كيانه ، إذن مهما اغتربنا عن الدين فسنظل فيه ، ولذلك أنطلق من هذا المنطلق لأقول ، إن كل حركة دينية بالمعنى الصحيح ، يجب أن تلقى ترحيبنا الحار ، ولكن في الوقت نفسه أقول : إن كل حركة يجب أن تسأل نفسها في وقت ما ، ماذا لو أنني لم أوجد ؟ أغيرت شيئاً؟ أم لم أغير؟ أو هذا التغير الذي حدث أكان خيراً أم كان شراً ؟ أما أن تعيش حركة خمسين سنة تقريباً ، ثم لا يبدو أنها حتى الآن حققت شيئاً ، ودون أن تقول لنا بماذا أخطأت ، وبماذا أصابت ؟ فهذا أمر نحب لو أنها تجاوزته .

ثم أريد أن أفهم بالفعل — الآن — وأنا أحد المواطنين الذين عاشوا مع الأخوان المسلمين مدة طويلة : أشخاصاً ، وقراءة لما كتبوا ، اريد أن أفهم الآن أين هم مما يوجد في الساحة العربية ؟ ماذا يريدون في الوقت الحاضر ؟ إنني بالفعل عاجز عن أن أعرف ماذا يطلبون ، وأتمنى لو كان في وسعهم أن يضعوا أمامي صورة لمطالبهم لأقول فيها رأياً ، إما معها وإما عليها .

ونقطة أخرى في حديثي هي : أظنكم تعرفون جميعاً أن الدين الإسلامي يقول (الحاكمية لله) الله هو الحاكم الأعلى ، لكن الله وهو الحاكم الأعلى ليس هو الذي ينزل في كل لحظة ويقول افعلوا هذا ولا تفعلوا ذلك ، بل وضع مبادئ عامة وقال بهذه المبادئ تحكمون أنفسكم . وفي المقابل اتخذت هذه الحاكمية لله ، يعني تقرير هذه المبادئ ، اتخذت ذريعة ضد الديمقراطية ، وأن كل ما يسمى حياة عربية اسلامية منذ البداية حتى الآن ، كان حكماً أقرب إلى الديمقراطية اذا شئنا التسمية ، ثم شيئاً فشيئاً صار استبداداً ، يعني كل الحكم العربي الإسلامي منذ ولد حتى الآن بدأ ديمقراطياً بمعنى حرية الحكم ثم شيئاً فشيئاً صار دكتاتورية واستبداداً . ونلاحظ أن خط الاستبداد وتزايد الاستبداد رافقه — أيضاً — خط انحطاط الأمة العربية ، وبالتالي شيان يتزاملان ويترافقان طوال الطريق ، زيادة استبداد وزيادة تخلف .

ألم يحن بعد أن نفهم أن حرية المواطن وحرية الحكم للشعب وجعل الشعب هو الحاكم ، طبعاً وهو خاضع لأمر الله فيما يتعلق بالأمور الدينية ؟ ألم يحن لنا أن نفهم أنه لا بد أن يعود الحكم للشعب ؟ هذه الفكرة التي نسميها ديمقراطية ، لا يصح إطلاقاً أن نقول نحن ، هذه ليست من الإسلام ، فعمربن الخطاب من أجل أراضي السواد أنشأ لجنة : خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج ، وقال لهم افتوا في هذا الأمر ، وهو أيضاً وضع ستة أشخاص من أجل الحكم ، واختيار خليفة .

إذاً بدايات الصورة كانت موجودة ، أعني أهل الحل والعقد ، فهم ليسوا رؤساء القبائل كما كانوا من قبل ، بل كل من يرى الشعب أنهم أهل الحل والعقد وليسوا العلماء بالذات ، واذن أنهى القول بعدم الموافقة على أن الحكم الديمقراطي غير إسلامي ، وأسأل : كيف يكون الحكم الإسلامي وعلى أي الأسس يقوم ؟ هذا أيضاً أتمنى لو أفهمه من الإخوان المسلمين ، وأقول : بأن كل رفض للديمقراطية الآن يعني بقاء الأوضاع العربية على ماهي عليه ، وبالتالي السير في طريق التخلف بحجة أن الديمقراطية ليست من الإسلام .

تعليق الدكتور محمد الريحى — على تعليقات المعلقين :

لقد تحفظت منذ بداية التعليق الأول على ماأردت أن أقوله ، فقلت بأن تعليقي سوف ينصب على الورقة التي تجشمت عناء قراءاتها بخط اليد وهي من ١٤٤ صفحة تقريباً ، وقلت :

١ — إن فكر الإسلام من خلال الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى ، وبعضها لها وجهات نظر في بعض القضايا تختلف عن الجماعات الأخرى ، ووددت لو أن السيد الكاتب تناول الموضوع من خلال إقناعه للآخرين بوضع الأفكار والممارسات : احداها ضد الآخر ، وإقناعي كقارىء بأن هذه الأمور صحيحة ، وتلك الأمور خطأ .

وأعتقد أننا — العرب والمسلمين — يجب أن نحترم أنفسنا والآخرين ، ونقول قولاً قريباً إلى الموضوعية ، فمع أنني أعرف أن الناس على قدر عقولها ، وقد تختلف العقول ونفهم بدرجات مختلفة ، ولكنني أقول إن هنالك منهجاً يجب أن نتفق عليه ، فلا يجوز تعليق إلا بعد قراءة .

٢ — أنا أعتذر لأنني أخطأت وهذا الاعتذار بأنني تحدثت عن « الديمقراطية » وأنا أقصد الشورى وقد قرأت بتواضع شديد كثيراً من كتابات الشيخ حسن البنا ، وأيضاً كتابات أخرى ، وأنا باعتباري مجتهداً وطالب علم ألتقط بعض الأمور التي أرى أنني أحتاج إلى تعميق رأيي فيها ، وأذكر ان كانت ذاكرتي صحيحة أن الشيخ حسن البنا في كتاب له — وصدر مجدداً أخيراً في القاهرة — تحدث عن الشورى ، وقال إنها معلمة وليست ملزمة . ونحن نتحدث اليوم عن الشورى في بعض تطوراتنا لهذه الفكرة بأنها قريبة من الديمقراطية وهذا اجتهاد ، ولا أخفي اعتقادي بأن أحد الحلول لهذه الأمة هو شيء من الديمقراطية ، شيء من الشورى بمعنى المؤسسات وليس الشورى بمعناها العام .

الموضوع الثاني الذي تحدث فيه الأستاذ العظيم : وأنا في حقيقة الأمر لست مدافعاً عن حركة الجيش ، وعن ثورة مصر ، فلها الكثيرون الذين يدافعون عنها ، ولكنني قلت : إنه في بعض الأوقات قد ندافع عن قضية بحماس شديد ونضر هذه القضية ، وأنا قلت ما كتب في الورقة ، فلقد تفضل زميلنا وقال : « إن المفاوضات التي سبقت حركة الجيش سنة ١٩٥٢م اشتم منها المفاوضون بأن لهم علاقة بالأمريكان » . فإذا كان هذا صحيحاً فإني أفهم أن يقال بأن هذا تكتيك ، نعم كنا نعرف أن الأمريكان خلف الحركة وكنا نريد التغيير ، وقلنا لا بأس . أو أن تقال أمور أخرى — كما قال بعض الزملاء — مثل نحن بشر أو غير ذلك ، فهذا مأريده .

ثم اني أريد أن أقول بأن الشيخ / حسن البنا وآخرين قد اجتهدوا في اطار الوضع الاقتصادي والاجتماعي في ذلك الوقت ، وقلت : انني أفهم ، وقد فهمت — ولا أقول مجاملة — سبب رفض الشيخ حسن البنا ، في ذلك الوقت للديمقراطية المصرية ، أفهم ، وأفهم أيضاً رفضه للأحزاب في ذلك الوقت .

ولكنني أريد أن أقول بأن هناك مجتمعات تطورت ولديها من الفكر والثقافة الكثير ، ويجب أيضاً أن نحترم عقول الآخرين ، هذا هو اجتهادي حول الديمقراطية ، لقد جربنا أموراً كثيرة وأعتقد أن الديمقراطية هي شورى المؤسسات ، والشورى في رأيي هي مؤسسات منتخبة يقوم الشعب بانتخابها ، بحد أدنى من المواصفات الشخصية ، لكي يقوموا بما فوضهم فيه الشعب ، أريد فقط أن أقول للسيد الكاتب إنه لو قال إن هذا الرأي كان اجتهاداً في ذلك الوقت ، والوقت قد تغير ، وربما يختلف الاجتهاد (كما اختلف بالفعل) لفهمته ، ولكنني تحفظت عليه لأنه

قال إن هناك فهما بأن الأمريكان خلف الثورة ، وبعد ذلك تكشفت صحة هذا الفهم ، ان هذا لايفيد الحركة في اعتقادي ، بل إنه يضر بالحركة الإسلامية .

أريد أن أقول إننا يجب أن نناقش كل موضوعاتنا ، وأنا لم أدخل في موضوع العقيدة وراء الشيخ حسن البنا ، وأنا متفق في هذا الموضوع ، ولا أعتقد أن هناك كثيراً من المسلمين أو من ولدوا مسلمين يناقش في هذا الموضوع ، وإنما نناقش في كيف تطور حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وأريد أن أذكر في النهاية ، مثالا قرأته وقد لا يكون صحيحاً (لقد وقع في يدي كتاب بريطاني صدر منذ أشهر قليلة اسمه (The reign of Aiat Allah) وترجمته « عصر أو حكم آية الله » يقول فيه الكاتب : (إن الثورة في إيران يعني الثورة الإسلامية في إيران ، قد غيرت رأيها في موضوع البنوك في فكرة ما اعتقدوا بأنه بنوك غير ذات فائدة ، إلى بنوك ذات فوائد محددة) ، وهذا التوجه أيضاً عند بعض المفكرين الإسلاميين الاقتصاديين ويقولون به .

واني أقول إذا أردنا أن نقنع الآخرين ، وإذا أردنا في حقيقة الأمر أن نبني بناء صحيحاً ، أن نفهم التكتيكات السياسية ، ولنقل بأنها تكتيكات سياسية ، ولنقل إن هؤلاء البشر أخطأوا في مكان وأصابوا في مكان آخر ، وكنت أودّ أن يركز البحث الذي انصب تعليقي عليه على هذه النقاط .

تعقيب الاستاذ محمد فريد عبد الخالق على المناقشات والتعليقات :

بسم الله الرحمن الرحيم

شكراً للأخوة المشاركين واني لأعتبر هذا الإثراء للموضوع عن طريق المناقشة نجاحاً كبيراً . فكل المقصود أن نستتير ، وأن يحتك بعضنا ببعض فيما يتعلق بالآراء ، وليست الفكرة تسجيل مواقف ولا أخذ شهادات ، ولا إضفاء قداسات لا على شخص ولا على جماعة ، ولا على حركة ، وإنما نبحت عن فكرة عظيمة الفائدة تقودنا في محنتنا إلى الخير .

ولقد طرحت أسئلة وبعض المعلقين كفاني الرد عليها ، وأكتفي بأشياء قليلة أفق عندها .

الأسئلة الموضوعية أو المنهجية ، خاصة فيما يتعلق بماذا حققت الدعوة ؟ والأخطاء التي وقعت فيها ؟ حتى نتعلم ولا تتكرر الأخطاء ، أما عمّا يتعلق بعلاقة الثورة بالاخوان ، فهذا شيء أتركه ولا أريد أن أدخل فيه ، وأحيله إلى الورق لأنني أعلم ما كتبت فهو يقين ، ونحن لم نكن نعلم شيئاً من هذا قبل أن تقع الثورة ، ولا تكشفنا ذلك إلا بعد أن علمناه من السادات نفسه عندما كتب هذا الكتاب . أو قبله بقليل عن طريق مصادر أخرى . ولكن ما يهمني الوقوف عنده : ما هذه النجاحات ؟ وما الإنجازات التي حققتها الدعوة ؟

إن هناك ناحية فكرية تتعلق بالمفهوم الشامل للإسلام ، والذي كان يحتاج إلى تجلية ، ويسري في الأمة ويتسع نطاقه حتى يتبناه العالم الإسلامي ، وهذا شيء أعتقد أنه لا يمارى فيه ، ولا يجادل أحد في أن تجلية المفهوم الشامل للإسلام تحققت على يد جماعة الإخوان .

الأمر الثاني هو تربية الرجال ، لقد تربت أجيال ورجال في هذه المدرسة ، ولم تكن الدعوة مجرد فكر على منابر ، ولا مجرد كلمات ، ولا بحوث في كتب ولا دراسات أكاديمية ، إنما كان كل جهد « حسن البناء » أن يتربى رجال تربية إسلامية كاملة ، تُربى عقول ونفوس وقلوب وأبدان ، حتى إذا جاءت المحن وجدنا رجالا .

ولما جاءت المقاومة الفلسطينية وجدنا شبابا لأول مرة يتسابق وهو من صفوف المتعلمين وخريجي الجامعات ، يواجه اليهود ويقدم نفسه شهيداً في سبيل قضية حولها جهد الإخوان من قضية محلية عربية إلى قضية إسلامية عامة ، وكان هذا من بين الأسباب التي أثارت ناثرة الأمريكان ، وناثرة اليهود أو الصهيونيين . فهذا الجيل الذي تربى للوجود ان شيئاً جديداً وقع على الساحة العربية والإسلامية ، ونماذج بشرية جديدة تجود بأرواحها ودمائها من أجل قضية لم تكن تجد من قبل هذا التقدير .

أمر آخر وهو أن فكر هذه الجماعة قدم منهجاً حركياً متكاملًا ، فلم يكن مجرد معهد يعلم فيه الإسلام وإنما كانت هناك نواد رياضية ، وكتائب ، ونظام أسر ، وأشياء مختلفة تدرب فيها جيل وارتبطت فيها أعداد تحت مظلة فكر موحد ، واتجاه موحد ، فكان منهم قوة أعتقد أنها أثرت وغيّرت وبدلت وأظن أن هذه الحقيقة لا يكابر فيها أحد .

الأمر الجدير بالذكر هو أن فريضة الجهاد لم تكن حية ماثلة حتى تمكنت من مقاومة الانجليز ، بعد أن كانت كسر فوانيس ، ومظاهرات في الشارع ، وبدأت مواقف عملية ، حتى أن الانجليز في معسكراتهم وجدوا أن المقاومة الشعبية تحولت إلى حقيقة اقتضتهم أن يفكروا عملياً في ترك وادي النيل ، لأنه لا مقام لهم مع تعبئة شعبية ، فعالة منظمة ، ولأول مرة ، قادت الحركة الوطنية وقدمت فيها عطاء عملياً ومؤثراً تأثيراً أحدث شيئين :

١ — اضطر الانجليز فعلاً إلى مراجعة تكتيكهم .

٢ — أوجد النشاط الإعلامي الإسلامي ، فلقد نجحت الدعوة في هذا الجانب إلى حد ما ، فأحييت لأول مرة جريدة إسلامية وقدمت لها من أقلام المسلمين ، وعطاء الفكر الإسلامي ما أشعر الناس أن الحركة الإسلامية تستطيع أن تقدم في ساحة الإعلام الإسلامي إعلاماً له صبغة إسلامية ، غير متأثرة بغيرها ، وتستطيع أن تناضل تحت مظلة الإسلام .

ثم إن هذا الإعلام كانت له رسائله الصغيرة ولكنها كبيرة في معانيها ، راسخة في أسسها وأصولها ، وجهود كبيرة في : الشهاب ، وفي النذير وفي مجلة الإخوان المسلمين ، كل هذه

الطاقة من الإعلام ، كان فكر الجماعة هو الدافع الرئيس في تحريكها ، وفي مزجها بأسباب الحياة . ولقد استطاعت الدعوة في الفترة الوجيزة من عمرها الذي لم يجاوز العشرين سنة — وهي فترة قياسية — أن تحقق فكرها وتجعله واقعاً في مجالات عملية ، ومؤسسات اقتصادية ، ومؤسسات قامت لتنشيط (الكوادر) الاقتصادية الجديدة ودفعها وتربيتها لتعمل تحت مظلة الإسلام ، وكل هذا كان شيئاً جديداً على المجتمع الإسلامي .

وأما فيما يتعلق بقضية الديمقراطية ، فأريد أن أقول : إن الحياة النيابية كانت محل احترام عند « حسن البنا » ، وفي كتاباته شهادة بذلك . وهو يقول : إن الشورى ملزمة ، وإن كلامه واضح فيها ، وأن الشورى هي أساس الديمقراطية ، كل الفارق بيننا وبين الديمقراطية — شئنا أن نسميها الديمقراطية أو لم نشأ ، فالعبرة بالمسمى لا بالاسم — أننا لانستطيع أن نقول إن الشعب له السلطة التي يستطيع بها أن يحرم حلالاً أو يحلل حراماً . فلا يستطيع البرلمان ولا الأمة كلها أن يحل حراماً . وهذا هو الفارق .

وإذا تحققت إرادة الأمة في أن تختار حاكمها ، وتعزله وتحاسبه تحققت العدالة ، وتحققت الشورى ، وقامت وحدة الأمة بالإسلام الذي يحفظ لها سر قوتها ولا يريد لها أن تتمزق ، فإذا استطعنا أن نحفظ للأمة بوحدها ، وللشعب بارادته ، وللحاكم بمسؤوليته ، وحق الشعب في مراقبته ، وعلمنا أن الشعب تحت مظلة البرلمان لا يستطيع أن يحل حراماً أو يحرم حلالاً فسمها ماشئت « الديمقراطية » ، أو غير « ديمقراطية » المهم والمعول عليه هو المضمون وليست الأسماء .

وأما التجربة السياسية التي قام بها الإخوان أخيراً من محالفة صدقي أو غيره فنحن في الحقيقة لم ندخل في محالفات إطلاقاً ، وإنما كان لنا مع الحكومات موقف معتدل ، موقف حكيم ، موقف الناصح الأمين ، الذي لا ينافق حاكماً على حكمه وإنما يريد أن يقدم النصيحة خالصة ، فالدين النصيحة .

فإذا جاء حاكم من منطلق المصلحة الوطنية ، والغيرة الإسلامية فلا بد أن نعطيه فرصة ، لا نقول له لا .. انت قد كنت كذا وصنعت كذا ، ولهذا فنحن نصم آذاننا عما يقال ، بل نعطيه فرصة ، فإن اعتدل أمره أعناه ، وإن لم يستقم قاومناه ، وذلك كان مسلكنا مع جميع الناس ، لم تتغير ولم تتبدل ، ولم يوجد من يشتري الإخوان ، ولا من يتخذ الإخوان سلماً كبيراً كان أو صغيراً ، داخلياً كان أو خارجياً ، وربما كان هذا هو الذي جعل الناس يحقدون عليهم .

ومرة أخرى أشكر من تقدمني بالحديث ، فقد كفاني الكثير مما كنت أعترم الخوض فيه ، ولكن أريد أن أؤكد على أن التغيير الذي حصل نتيجة الحركات الإسلامية هو تغيير ملموس ، حدث في مصر وأثر في كل مكان ، وسواء أكان اسهام الإخوان في ذلك اسهاماً كبيراً أم صغيراً

فهو — لاشك — إسهام قائم غير منكور ، فلقد كنا نذهب إلى المساجد فلا نجد فيها إلا الشيخ الطاعن ، ونحن الآن نريد أن نصرف العيون عن الشباب الذين يزدحمون داخل المساجد حتى لا يكون لهم من وراء ذلك ضرر يصيبهم على أيدي الحاقدين .

لقد تغيرت أمور كثيرة ، فالجامعات ما كنا نرى فيها فتاة تعتز بدينها وتعرف كيف تدافع عن نفسها ، وكيف لاتتأثر بمفاهيم الغرب ، وأنماط الحياة فيه . ونحن الآن نجد الكثرة من فتياتنا متحجبات ، وقد عرفن قيمة الفضيلة ، وأن الاعتزاز بها ، هو اعتزاز بهويتها وبشخصيتها .

ولقد كانت الأحزاب في الثلاثينيات لايجرؤ زعيم حزب أن يردد كلمة عن تطبيق الشريعة ، ولكن الشارع الإسلامي عندما كانت تجري الانتخابات الأخيرة كانت تسوده ظاهرة غريبة ، وهي أن الجميع بصدق أو بغير صدق — عن اعتقاد أو تملق ، وحتى ترضيا وكسباً للأصوات — كلهم قد كتبوا وحتى الحزب اليساري — في رأس قائمتهم — نطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية .

إن تغييراً جوهرياً قد حصل — ولا شك في ذلك ، وقد كان حسن البنا بعيد النظر ، وكان يؤمن في منهجه بالتدرج ، ويعتبر الزمن جزء من العلاج لا ينفصل عنه ، وكان طويل النفس ولا يرى القفز على النتائج ، وكان يأخذ بالتربية ويعتبر نفسه — أساساً — إنما جاء للتربية .

وإني أذكر أننا عشنا في زحمة في الحرب العالمية الثانية وكثرت عليه التبعات والأعمال وقال لنا (أريد أن أفرغ لمهمتي الأساسية ، التي أشعر أنها هي المهمة التي أنا لها ، وهي التربية ، فليكن لكم تنظيمكم يقوم بلقاءات ومقابلات ، وأعمال إعلامية واتصالات سياسية ، وما إلى ذلك ، ولكنني معني بتربية الفرد المسلم ، وتربية البيت المسلم ، حتى تتكون الأمة أو المجتمع الإسلامي ، فإن سر التغيير كله سيكون إن شاء الله في نتائج قادمة ، عندما يقوم الأساس الراسخ ، عندئذ سيعلو البناء ويعرف الناس أن العلاج ، وإن كان طويلاً إلا أن ثمرته مؤكدة .

وأما الرد على السؤال ماذا تريد الجماعات الإسلامية ؟ وهو سؤال ليس مطروحاً — فقط — على الإخوان المسلمين ، ولا على جماعة بعينها ، فنحن نريد أن ننسى الأسماء ، والفكرة التي نريد أن ننشرها هي : حياة الإسلام والمسلمين ، ونحن جميعاً أبناء هذا الدين ، ونريد أن نحكم بديننا ، وأن ترتفع كلمة إسلامنا ، فدعونا لا نفترق حول الأسماء والجماعات فتفرقنا الاجتهادات والفروع والخلافات ، نريد أن نتجاوز هذه النعرات الشخصية ، والمواقف الحزبية ، فنحن أهل دعوة ، وفرق كبير بين تكوين الدعوة وتكوين الحزب .

نحن نريد أن نكون منكم يامفكري الإسلام ، دفعة حية قوية يتأثر بها العالم الإسلامي ، فيعيد بناء نفسه ، وصياغة وجوده على أنه أمة عظيمة تستطيع أن تكون لها حضارة تليق بدينها ولعظمتها . ويوم تعرف الطريق ، وتقودونها أنتم إليه بتوجيه من تجرد من الذاتية ، وعلى قلب رجل واحد ، وبنظام ومخطط ، وبرؤية علمية موضوعية شاملة ، تدرك متغيرات العصر ، وتعيش

الزمن الذي نعيش فيه ، وتعرف كل الحقائق . عندها سوف تجدون الأمة تسير وراءكم ويتحول أمر الإسلام من انحطاطه ومن وضعه المتردي والذي سمانا العالم من أجله — بالعالم الثالث أو المتخلف — نقول سوف يتغير الأمر ونتبوأ المكان الكريم الذي يليق بديننا .

أقول تريدون أن تعرفوا ماذا نريد ؟ ان الأمر مطروح عليكم جميعاً . نريد أن تجتمع الأمة التي تفرقت ، نريد أن تعرف الأمة هويتها بعد أن ضاعت بين المذاهب الايديولوجية ، والتشتتات الحزبية ، حتى فقدت حقيقة نفسها ، نريد لهذه الأمة أن تعرف من هي ؟ وما هو طريقها ؟ وما هي مبادئها ؟ وما هي أفكارها ؟ حتى تسير وراءها وحتى تحمي هذا التراث ، وحتى تحوله إلى حركة وإلى حياة ، وإلى بناء أمة ، وأنظمة تحكم ، ودولة تقوم ، وحضارة تسود ، وتلك مسؤولية الجميع ، وليست مسؤولية الإخوان المسلمين .

وأسأل الله أن يجمع بك ، وأن يوجه الأمة لما فيه الخير وأن يجعل هذا اللقاء مثمراً ويعود بالخير على الأمة التي تتطلع إليكم في فقرها وذلها وقهرها السياسي ، والأوضاع المتردية التي نعيشها كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً وأطفالاً . وانها وقد ازدحمت عليها أنواع الخطوب وقهرها الأعداء في الداخل والخارج ، تتطلع إليكم في هذا اللقاء ليتحول الكلام إلى عمل ، وتتحول التوجيهات إلى خطط .

